الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي أكلي محند اولحاج -البويرة-
معهد الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

تنوّع دلالات الزّمن بين بشّار بن برد وأبي نوّاس

دراسة في المضامين والإيحاءات

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة ليسانس في اللّغة و الأدب العربي

من إعداد الطّالبتين :

- **بركاتي لمية .**
- **تاتي وهيبة .**

إشراف الأستاذ :

عوّاج لعريبي .

السنة الجامعية : 2012/2011

إهداء

أهدي ثمرة جهدي وعملي إلى من قال فيهما الرّحمان عزّ و جلّ « وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا » .

إلى نبع الحنان والحبّ " أمّي " .

إلى مصباح حياتي " أبي " .

اللّذان شجّعاني وكانا إلى جانبي طوال مسيرة تعليمي ، أطال الله في عمرهما .

إلى سندي وقوّتي وملاذي ، إلى من أظهروا لي ما هو أجمل في الحياة ، إخوتي : عادل ، حمزة و أيمن .

خاصّة أخي " عادل " الذي ساعدني كثيرا .

إلى جدّتي وجدّي .

ولا أنسى شريك حياتي ورفيق دربي " كريم " وعائلته الكريمة .

إلى أساتذتي الكرام بدون استثناء .

إلى صديقاتي : وهيبة ، فوزية ، ربيعة ، سميحة ، نورة و عيشة .

و إلى أعزّ صديقاتي التي رافقتني طيلة تواجدي في الجامعة ، و إلى كلّ العائلة و كلّ الصديقات .

لمية

إهداء

إلى قرّة عيني وريحانة قلبي وتاج رأسي ، إلى بصري وبصيرتي أمّي الغالية .

إلى الذي عمل وكدّ وجدّ وقاسى ثمّ تعب حتّى وصلت إلى هدفي هذا ، والدي العزيز .

إلى من جمعتني معهم أحشاء واحدة ، وضمّني معهم حضن واحد ، إلى أخواتي :

- مليكة وزوجها حميد وابنتها وسام .
- سميرة وزوجها سليمان وأولادها سامي ، منال وياسر .
- إلى الغاليتين كثيرا على قلبي فريدة وكهينة .

إلى أخي مجيد وزوجته وريحانة البيت ملاك .

إلى زميلتي وصديقتي طوال مشواري الدّراسي الجامعي " لمية " .

إلى صديقاتي : سميرة ، جميلة ، ربيعة ، عائشة ، فوزية ، سعدة ، تسعديت ، فهيمة ، سميحة ، سامية ، سعيدة ، حفيظة و حليمة .

إلى زوجي الحبيب مجيد وعائلته .

إلى ابنة خالتي عائشة التي هي بمثابة روحي الثانية .

و إلى كلّ من يعرفني ويحبّني .

وهيبة

مقدمة :

إنّ جدلية الزّمن معضلة كونية ومعضلة بشرية ، والزّمن في هذه الحال يترجّح في المفهوم الدّيني والمفهوم الفلسفي ، والمفهوم الحياتي ، بين الزّمن الكوني و الزمن التّاريخي ، وقد يتمتّع الزّمن بمفهوم خاص يدخل في نطاق الزّمن الرّوحي أو زمن الرّوح .

وبين البدء والمنتهى ، يمتدّ الزّمن بين الأزلية والأبدية في مفهومين مطلقين من قبل " القبل " ومن بعد " البعد " وهكذا حتّى منتهى الأزمنة ، والإنسان هنا يحيا في الزّمن ورأى في هذين الوجهين أي أنّ الإنسان هو الزّمن ، فمن دون الإنسان لا يمكن أن نحدّد الزّمن ، فالزّمن يستقطبه مجيء الإنسان وينظّمه تعاقب الأجيال .

وفي الحضارات القديمة والحديثة وفي الدّيانات القديمة والأساطير وفي الدّيانات الموحدة تأخذ فكرة الزّمن طابعا قدسيا في الفكر والمعتقد والنّفس والوجدان .

إنّ الزّمن في اللّغة الشّعرية على اختلاف مستوياتها ، يخترق البنية اللّغوية بعمق ويغيّر ويبدّل في شكلها وفي مضمونها ، كما يفعل في العالم الخارجي من تبديل وتغيير في الشّكل من خلال رؤية الإنسان العناصر التي تستغرق الزّمن والمكان ، على اعتبار أنّ طبيعة الزّمان مقترنة بتصوّر الشاعر له ، وأنّ حياة الشاعر بؤرة نفسية يتلاقى فيها المكان والزمن معًا ، فالزمن المؤنس في المكان المؤنس والزمن الموحش في المكان الموحش .

والزمن في مسيرته داخل اللّغة الشاعرة يطوّع اللّغة لمجراه من حيث الدّلالة المعنوية ومن حيث الاشتقاق اللّغوي ، وكثيرا ما يوحي لفظ كلمة بفعلها الزمني ومعناه أن يكون عاملا مهمّا في خلق مناخ يلفّ النّص الشعري ويعمّق أبعاده .

فهذا ما بعث فينا روح الفضول للغوص في دراسة تنوّع دلالات الزمن عند الشّاعرين " بشّار بن برد وأبي نواس " ، وفي هذا الصّدد نطرح الإشكالية :

ما مدى تأثير هذه الظاهرة في شعر كلّ من بشّار وأبي نوّاس ؟

وهل هي وليدة ظروف بيئية أم هي وليدة حالة نفسية ؟

وما الفرق بين زمن بشار بن برد وأبي نوّاس ؟

وقد رتّبنا أفكار بحثنا هذا في خطّة شمِلت مقدّمة وثلاثة فصول وخاتمة .

أمّا فصول هذا البحث فكانت كما يلي :

الفصل الأوّل بعنوان : ثقل الزّمن في حياة بشّار ، وقد شمل محورين :

المحور الأوّل : محطّات من حياته ، والمحور الثاني تناولنا فيه بعض فصول من حياته .

أمّا الفصل الثاني فجاء بعنوان : زمن أبي نوّاس ، وتضمّن محورين :

المحور الأوّل : نبذة عن حياته .

أمّا المحور الثاني فتناولنا فيه الزّمن وفسحة امتداده بين الحياة والموت .

أمّا الفصل الثالث فجاء بعنوان : موازنة بين مفهوم الزّمن عند بشّار بن برد وأبي نوّاس ، وكذلك احتوى محورين هما :

المحور الأوّل : قياس مفردات الزّمن عند الشّاعرين .

أمّا المحور الثاني فتناولنا فيه أوجه الشّبه والاختلاف في معاني الزّمن عند الشاعرين .

وأنهينا البحث بخاتمة احتوت أهمّ النّتائج التي توصّلنا إليها ، للوصول إلى الغاية المرجوّة من بحثنا اعتمدنا المنهج الموضوعاتي الذي يتداخل بين الوصف والتّحليل مقتربين من اكتشاف النّفس البشرية وفهم شخصياتها ومختلف مظاهرها ، عبر مراحل تطوّر الشّخص أو المبدع وتفسير إنتاجه الفنّي .

و في الأخير نتقدّم بالشكر والتّقدير للأستاذ المشرف على كلّ المجهودات المبذولة والملاحظات القيّمة التي أسداها إلينا طوال فترة إعدادنا لهذا البحث .

الفصل الأول

) محطات من حياته :

هو بشّار بن برد يرجوخ زعيم المحدّثين، ولد بالبصرة سنة (714-896) ، وهو فارسي الأصل كان جدّه يرجوخ من طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة فقيد إلى البصرة وبيع هناك، وقد أشار بشار إلى ذلك في قوله[1] :

جَـدِّي الذِي أَسْمُو بِـــهِ كِسْرَى وَ سَاسَانَ أَبِـي
وَ قَيْصَرًا خَالِـــــي إِذَا عَدَدْتُ يَوْمًا نَسَبِـــي

كان أبوه برد من ضيعتها بالبصرة المعروفة(بخيرفان)، فوهبت برد بعد أن زوجته لامرأة من بني عقيل كانت متصلة بها، فولدت له امرأته بشار فأعتقته ولذلك يقال بشار العقيلي ، وبعد ذلك أصبح طيّانا يضرب اللبن حاذقا بالتّطيين ، وكان يقول ما رأيت مولودا أعظم بركة من إبني بشار ولقد لد لي وما عندي درهم فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم ، ولم يمت برد حتى قال بشار الشعر[2]، ولقب بشار بالمرعّث إما إنه كان في أذنه وهو صغير ، رعاث هو القرط ، أو لأنه كان بقميصه جيبان جيب عن يمينه وجيب عن شماله ، فإن أراد لبسه ، ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه ، وإذا أراد نزعه حل إزاره وخرج منه فشبهت تلك الجيوب بالرّعاث لاسترسالها وتدليها كما قال[3] :

قَالَ ريـــمٌ مُرَعَّــث سَاحِرُ الطَّرْفِ وَالنَّظَرْ
لَسْتُ وَ الله نَائِلِـــي قُلتُ أَوْ يَغْلُبُ القَــدَرْ
أَنِتَ إِنْ رَمَتْ وِصَالُنَا فَانْجُ هَلْ تُدْرِكِ القَمَــرْ

ومن العوامل التي تركت أثرا عميقا في شخصيته وشعره ، محنة العمى التي لازمته منذ أن كان صغيرا.

---

[1] - فوزي عيسى ، في الأدب العباسي ، قسم اللغة العربية ،كلية الآداب،جامعة الإسكندرية ، ط1، 2003 ، ص239.

[2] - محمد خفاجي ، الحياة الأدبية في العصر العباسي ، دار الوفاء للطباعة والنّشر ، ط1 ، 2004 ، ص 150 .

[3] - علي نجيب عطوي ، بشار بن برد حياته وشعره ، بشار بن برد " حياته ، شعره " ، دار الكتب العلمية ، ط1، لبنان ، 1990 ، ص 11-12 .

وقد أشار إلى ذلك فقال[4] :

عَميتُ جَنِينًا وَالذَّكَاءُ مِنَ العَمَى فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِ لِلعِلْمِ مَعْقِلاً

ومما يحكى عنه أنه كان إذا هجا قوما ، جاؤوا إلى أبيه فشكوه ، فضربه ضربا شديدا فكانت أمه تقول : « له كم تضرب هذا الصبي الضرير، أما ترحمه ؟ فيقول لي والله أرحمه ولكنه يتعرض إلى الناس فيشكونه إلي ، فسمع بشار فطمع به فقال : يا أبتي هذا الذي يشكونه مني إليك هو قول الشعر ، وإني إن ألممت عليه أغنيتك وسائر أهلي فإن شكوني إليك قل لهم أليس الله يقول : لَيسَ عَلَى الأَعمَى حَرج و لما عاودوه شكواه قال لهم برد ما قاله بشار، فانصرفوا وهم يقولون: فقر برد أغيظ لنا من شعر بشار[5] ».

وكان لبشار أخوان بشر وبشير يعملان كقصابين، وبالإضافة إلى كل هذا وجه بشار ليس بالوجه المشرف الجذاب الذي يستميلك ، إنما هو في اعتقاد طه حسين رجل ثقيل الظن له من الفن حظه الموفور ، ولكن روحه في حاجة شديدة إلى الخفة[6].

ولم يكن بشار بن برد محببا ولا جذّابا ، ولا لينا رقيق الطبع والحاشية بل كان على العكس من ذلك خشنا فضا ثقيلا سمجا حتى في مزاجه مما أثار عليه الآخرين .

يروى أن بشار كان بين يدي المهدي ينشده شعرا ، فدخل يزيد بن منصور الحميري وهو خال المهدي وسأله : ما صناعته ؟ فأجابه بشار أثقب اللؤلؤ ... ولم يستطع المهدي أن يمسك نفسه عن الضحك ، لكن غضب لخاله فشتم بشّارا أو لامه لتخدّره على خاله ، فلم يكن جواب بشار للمهدي بأقل من جوابه على سؤال يزيد ، إذ قال له وما أصنع له ؟

– يرى رجلا أعمى بين يدي الخليفة ينشد شعرا فيسأله ما صناعته وبشار شاعر غزل ... لكن يأخذ عليه أنه شعر لم يصدر عن عاطفة صادقة ... وكان مليئا بالفحش وسوء القول مما حدا بعلماء البصرة من أهل الدين أن يعضوه ويكلموه ومنهم واصل بن عطاء والحسن البصري ومالك بن دينار ، ثم شكوه[7]... .

---

[4] - فوزي عيسى ، في الأدب العباسي ، ص 239 .

[5] - محمد خفاجي ، الحياة الأدبية في العصر العباسي ، ص 239.

[6] - طه حسين ، من تاريخ الأدب العربي العباسي الثاني ج2 ، ط5، دار العلم للملايين ، ص 85.

[7] - عبد العون الروضان ، موسوعة شعراء العصر العباسي الأول ط 3 ، دار أسامة ، الأردن 2009 ، ص 89.

لقد عاش بشار في عصر تفاعلت فيه ثقافات متنوعة ، أهمها الثقافة الفارسية والثقافة العربية مما أدى إلى ظهور أسلوب عربي مولّد تميز بخصائصه عن أسلوب اللغة العربية الأصلية التي جاء بها العرب المهاجرون إلى البلاد المفتوحة ، وتميز هذا الأسلوب بالبساطة والرشاقة في التراكيب اللغوية والنسق العربي[8].

لما هجا بشار المهدي ، لم يكن يدري هجاء هذا الأخير فبلغ يعقوب بهجاء بشار للخليفة فدخل إلى المهدي فقال له : « إن بشار هجاك ، فقال ويلك ماذا قال ، قال يعقوب : يعفيني أمير المؤمنين من إنشاد ذلك ، فقال لابدّ فأنشده :

خَلِيفَةٌ يَزْنِي بِعَمَّاتِهِ يَلْعَبُ بِالدبوق* والصَّولَجَـــانِ
أَبْدَلَنا الله بِه غَيْـرَه وَدسَّ مُوسَى في حِرِ الخـيزرانِ[9] »

فغضب المهدي غضبا شديدا فقال له يعقوب : « إنه زنديق قد قامت البينة عليه » ، فأمر المهدي أن يضرب ضرب التلف، فضرب ضرب التلف، فضري سبعين سوطا مات لها، وكان ذلك سنة (166هـ)[10].

أما أهل البصرة فراحوا يهنّئون بعضهم بعضا ، وحمدوا الله وتصدقوا لما كانوا فد بلوا بلسانه ، وهكذا طويت الصفحة الأخيرة من حياة بشار بعد أن سفّل الناس وأهابهم الحسد به ، ولكن بقوة لسانه ، وقوة اللسان هي سلاح الضعفاء يدافعون به عن أنفسهم[11].

---

[8] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، دار الحداثة ، لبنان ، ص 58-59 .

[9] - علي نجيب عطوي ، بشار بن برد حياته وشعره ،ص 42.

[10] - عبد العون الروضان ، موسوعة شعراء العصر العباسي الأول ، ص 89.

[11] -علي نجيب عطوي ، بشار بن برد حياته وشعره ،ص 43.

*الدبوق : لعبة للصّبيان .

) بعض فصول من حياته :

أ) ثلاثية العتب واليأس ووطأة الليالي عند بشار :

وُلد بشّار محروما من نعمة البصر ولا شك أن محنة العمى كانت أشد وأقصى فكانت ذات تأثير شديد على حياته ومزاجه ، فعاش منطويا على ذاته في عالم الظلام ، فطول الإحساس بالألم والعجز عن الخلاص منه أو التسليم بحكمته يقوده إلى اليأس والتشاؤم من هذا الزمن ، فراح يصف لنا هذا الليل بعد أن كف بصره[12] .

طَالَ هَذَا اللَّيْلُ بَلْ طَالَ السَّهَـرْ ... وَلَقَدْ أَعْرِفُ لَيْلِي بِالقِصَـــرْ
لَمْ يَطُلْ لَيْلِي حَتّى جَفَانِي شَادِنٌ ... نَاعِمُ الأَطْرَافِ فَتَّانُ النَّظَـــرْ
لِـي فِـي قَلْبِـي مِـنْهُ لَـوْعَـــــةٌ ... مَلَكَتْ قَلْبِي وَسَمْعِي وَالبَصَـرْ
فَكَأَنَّ الهَمَّ شَخْصٌ مَاثِـــــلٌ ... كُلَّمَا أَبْصَرَهُ النَّوْمُ نَفَـــــرْ[13]

في هذه الأبيات يلوم الشاعر الزمن ويستدرك عواقبه السيئة ، بحيث لا يدع أحدا من الناس لا يلومه فليس له أمان ، لأن المصائب والأرزاء من طبيعة الحياة ، وأن دوام الحال ليس من طبع الإنسان[14] .

يرتبط ذكر الليل بالقلق والسهر حيث نجد (الأنا) حافزا قويا للارتداد إلى ذاتها والتأمل في حركة الزمان وعواقبها .

إن الشاعر يجد ذاته وسط ليل لم يخلق له أبدا نهار ، وإن لاح في هذا النهار خلاص من المعاناة أو الظلام المتزامن مع وجودها بدت له ليلة أخرى من ليله السمردي :

آبَ لَيْلِي لَيْتَ لَيْلِي لَمْ يَـأْبَ ... إِنَّمَا اللَّيْلُ عَنَاءٌ للوَصـــــــبْ
أَرْقُبُ اللَّيْلَ كَأَنِّي وَاجِـــــدٌ ... رَاحَةً فِي الصُّبْحِ مِنْ جُهْدِ التَّعَبْ
وَلَقَدْ أَعْلَمُ أَنِّي مُصْبِـــــحٌ ... مِثْلَمَا أَمْسَيْتُ إِنْ لَمْ تَحْتَسِـــــبْ

تلك هي فاجعة الإنسان الذي يرى الذات واقعة بين فكي الزمن (الليل والنهار) يندمجان في صيغة واحدة في الظلام ، وقد يكون للعمى أثر في تشكيل هذه الرؤية ، فقد حجبه عن تصور

---

[12] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 62 .

[13] - إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، دار الشروق ، ط2 ، الأردن ، 1996 ، ص 68 .

[14] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 62 .

الحياة كما يراها البشر الأسوياء ، فبدا له الوجود سابحا في ظلام أبدي ، يخلو من التفاؤل باستعادة الحياة المشرقة (النهار) لأن المعاناة قد استفحلت جذورها في باطن الحياة وطغى الظلام على أمانيها في الخلاص كما يطغى على فاعلية النهار[15] .

[15] - إبراهيم أحمد ملحم ، جماليات الأنا في الخطاب الشعري ، دراسة في شعر بشار بن برد ، دار الكندي ، ط1 ، 2004 ، ص 74 ، 75 ، 76 .

ب) حتمية القدر :

وكان من أهم المشاكل التي يحاور فيها وأصل خصومه ، مشكلة الجبر و الاختيار، وكان يرفض فكرة الجبر وتعطيل إرادة الإنسان أمام إرادة الله المطلقة لما يؤدي إليه ذلك من فقدان الإنسان لحريته في أعماله وأنه كتبها كتبها عليه القضاء المحتوم[16] .

هذا الزمن أصبح خاضعا للقدر، وهذا ما أدّى به إلى الاعتراف بأن علمه مقصر على إدراك الأشياء الغيبية حيث يقول :

أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى ، وأُعْطَى فلم أُرد وقَصَّر عِلْمِي أَنْ أَنَالَ المُغَيَّبَا

كذلك تحول زمن بشار بمواقيته إلى معان خاصة به ، فاليوم الذي لم يطلع عليه بصبحه قد استطال ليله حتى أصبح دجى مظلمة ضاغطة على صدره ، تلف كيانه كله وهو مستمر في مكانه المظلم ، لم يبرحه وبذلك تحول ليله إلى دهر ودهره إلى كتل من الظلام المخيّم فوق تلك الأمكنة كأنها أكداس متراصة فوق بعضها[17] .

وأيضا لما يؤدي إليك من ظلم الله للناس فهو يكتب عليهم الشقاء ويأخذهم به ، والله لا يظلم الناس مثقال ذرة ، وما يأتون من أفعال و أقوال إنما يأتونه بإرادتهم وحريتهم وهم لذلك مسؤولون عنه ومحاسبون ، وقد مضى بشار في أشعاره يعارض واصلا في هذه المشكلة الإنسانية الكبرى ، مصرا على أن الإنسان مسيّر في رحلته الدنيوية بقضاء يخط له غده و مستقبله ، وفي ذلك يقول :

خُلِقْتُ عَلَى مَا فِيَّ غَيْرَ مُخَيّـــــرٍ هَوَايَ وَلَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ المُهَـذَّبَا
أُرِيدُ فَلاَ أُعْطَى ، وَأُعْطَـــى فَلَمْ أُرِدْ وقَصَّرَ عِلْمِي أنْ أنَالَ الْمُغَيَّـــبَا
وأصرفُ عن قَصْدِي وَحِلْمِي مَبْلَغِي وَأُضْحِي وَمَا أَعْقَبْتُ إِلَّا التَّعَجُّبَا [18]

---

[16] - شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ط13 ، ص 152 .

[17] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 63 .

[18] - شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، ص 153.

جـ) ثنائية الدهر والليل :

يعد الزمن من الألفاظ المعادلة للدهر ويأتي معينا له كجزء من الخلفية الغامضة للخبرة ، أو كما يدخل الزمن في نسيج الحياة الإنسانية .

والبحث ن معناه ... لا يحصل إلا ضمن نطاق عالم الخبرة هذا أو ضمن نطاق حياة إنسانية تعتبر حصيلة هذه الخبرات[19] .

إن عمى بشار أشكل عليه معرفة أقسام الزمن وطبيعة سيلانه وتحديد أجزائه ، لذلك اتخذ موقفين متناقضين من الزمن ، زمن خاص به ذاتي أخضعه لحالته النفسية ، وزمن قدري أزلي لا بداية له ولا نهاية له لأنه مرتبط بإرادة الله سبحانه وتعالى[20] .

وذكره لليل دون غيره لأنه محل سكون الحواس ، وهدوء الأنفاس وخلو النفس بعد انطباق مسالك التشعبات عنها ، فتستجلب الأفكار الخفيات فيما مضى وما هو آت ، وأما النهار فالأفكار فيه منتشرة ، والشواغل مستكثرة ، فهو محل الاستغراق وقلة الإعتلاق ، ومحل التسلية عن الأشواق فلا يلهيه شيء ولا ينسيه مراده ، وقريب من هذا ما نقله ابن حجلة عن الشريسي ، أن الشعراء من الليل أفزع ، وإلى النهار أنزع ، لأن الليل أجمع لأشتات الهموم والفكر وأجلب لشوارد الأحزان والذكر[21] .

وقد حجب عماه تعاقب الليل والنهار مما يجعله ينطوي على ذاته ، مستغرقا في دجى عماه ، لا يعرف لماذا هذا الدجى لا يبرح عن كاهله فراح يتساءل :

خَلِيلَيَّ مَا بَالُ الدَّجَى لاَ تَزَحْـــــزَحُ ... وَمَا بَالُ ضَوْءِ الصُّبْحِ لاَ يَتَوَضَّحُ
أضَلَّ الصَّبَاحُ الْمُسْتَنِيرُ سَبِيلَـــــهُ ... أم الدَّهْرُ لَيْلٌ كُلُّهُ لَيْسَ يَبـــــرْحُ
وَطَالَ عليّ الليلُ حتى كأنّـــــــهُ ... بليلين موصول فما يتزحـــــــزح
كأن الدَّجى زادت وما زادت الدجى ... وَلَكِنْ أَطَالَ اللَّيْلَ هَمٌّ مُبَـــــــرِّحُ [22]

في هذه الأبيات طرح لمشكلة وجودية عند الشاعر هي أوسع مما يمكن حصر دلالة الليل فيها بمصطلح " الإفراط " كما ذهب الجرجاني ، أو الإحساس بطول ليل العاشقين وما ينطوي عليه من الهموم والضجر ، إنه ليل آخر ، ليل كتب على الشاعر أن يكون سمرديا ، تتحول فيه

---

[19] - إبراهيم أحمد ملحم ، جماليات الأنا في الخطاب الشعري ، دراسة في شعر بشار بن برد ، ص 59 .

[20] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 67 .

[21] - إبراهيم أحمد ملحم ، جماليات الأنا في الخطاب الشعري ، دراسة في شعر بشار بن برد ، ص 74 .

[22] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 68.

الأيام إلى ظلمة مستديمة ، إنه مناخ المعاناة التي تعيشه الذات بصفة دائمة ، فيجعل الموت في حضور دائم يترادف حضوره مع صورة الليل التي وقف الدهر عليها وكأن النهار رمز(الانبعاث) قد ضلّ طريقه وأبقى الذات في الليل تبحث عن خلاص من المعاناة[23] .

[23] - إبراهيم أحمد ملحم ، جماليات الأنا في الخطاب الشعري ، دراسة في شعر بشار بن برد ، ص 75.

د) الخيبة عنوان الزمان عند بشار :

الزّمن أصبح مخيب الآمال ، محبطا طموحات الإنسان مهما حرص في سعيه الدائب لتحقيق أمانيه حتى ولو ظل متابعا سعيه طوال حياته، ولذا فالزمن لا يمكن الركون إليه، إنه قدري قد يحرم الساعي من نيل حاجته التي يستحقها وينال الخمول المقيم ما يحتاجه دون عناء[24].

فالدّهر هو الذي يقلب حياة الذات ولا يدع لها نعيما ،ويفرق الأخ عن أخيه ويجعل "باقي ما تحب إلى ذهاب " فالشاعر يثير من تجربته في الحاضر خبراته السابقة في تدمير الدهر للحياة وينقل المستقبل إلى الحاضر ليجعله متلاقيا مع استمرارية فاعلية الدهر ، برؤية لا تفصم المستقبل عن الماضي والحاضر ، تبدو صورة الزمن متواشجة مع صورة الدهر فالزمن " مغير" لا يؤتمن جانبه ، يعدو عدو الذئاب ، والدهر "منقلب" وهما يتسمان بشمولية التدمير والتغير في الحياة[25].

أما بشار فكان له موقف سلبي في تصديه لإشكالية الزمن ومشاكل الحياة وحاجات الإنسان من زمنه المعاش .

إنه يعبر في المطلق عن أزمة الإنسان الذي يرسف في قيد الزمن، دون أن يتمكن من حل هذه الأزمة التي طالت وجود هذا الإنسان منذ بدء الخليقة ،ولم تزل مستمرة بتصاعد مع حاضره ومع مستقبله إلى ما شاء الله ، دون أن يستطيع تحقيق رغباته وحاجاته النفسية ودون أن يجد الحلول الشافية لكي يؤكد حضوره الفاعل في السيطرة على حبل هذا الزمن[26] .

تتجه استجابة الشاعر أمام فاعلية الدهر إلى الرضوخ والاستسلام لفعله ، ذلك أن الإنسان موجود زمني "وكلّ امْرئ منتهي إلى أمدٍ" ولا يستطيع الهروب من تسليط الزمن الفناء على البشر ،كما لم يستطع أي إنسان أن ينفلت من هذا الفعل :

دِيني لِدَهرٍ أَصَمَّ مُنْذِلـــــــثٍ يُهْرَبُ مِنْ ريْبِهِ ولا هَـرَبُ
أَودَى بأهلِي الغَدِيرَ فَانْقَرَضُوا لَمْ يَبْقَ مِنْهمُ رأسٌ ولا ذنبُ

والدّهر كالموت في رحلة دائمة، لا يكف عن الفتك بالإنسان ، ولذلك أصبح لزاما على الإنسان أن يعطل اندفاعه إلى مباهج الدنيا، وينظر إلى الدّهر الذي يتوعده بالفناء[27] .

---

[24] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 68.

[25] - إبراهيم أحمد ملحم ، جماليات الأنا في الخطاب الشعري ، دراسة في شعر بشار بن برد ، ص 60.

[26] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 69.

[27] - إبراهيم أحمد ملحم ، جماليات الأنا في الخطاب الشعري ، دراسة في شعر بشار بن برد ،ص 60 - 61 .

الفصل الثاني

) نبذة عن حياته :

أبو نوّاس هو الحسن بن هاني ، موالي الحكم بن سعد بن العشرة من اليمن، ولد بالأهواز سنة تسع وثلاثين ومائة ، من أب اسمه هانئ ، قيل أنه من دمشق من جند مروان آخر خلفاء بني أمية وإنه من أصل فارسي أمه جلبان فارسية ، مات هانئ وابنه صغير وهو ابن ست سنين فانتقلت أمه إلى البصرة فأسلمته الكتاب[28].

كان الفتى وسيم الطلعة حسن القوام ، رقيق النفس نافذ الشعور وخفيف الروح وكان يختلف إلى دروس العلماء ، فألحقته أمه إلى عطار فمكث عنده ، وبذلك انفتحت الملكة الشعرية عنده ، وتعرف على والبة بن الحباب عندما زار العطار عامل الأهواز ، فأعجب كل منهما بصاحبه فانغمس في مجون والبة ورفاقه أمثال مطيع بن إياس وأخذه معه إلى الكوفة ، ويعود إلى البصرة ويلزم خلفا الأحمر ويحمل عنه علما كثيرا وأدبا واسعا[29].

ومما كان معروفا عن البصرة في ذلك العهد أنها كانت مركزا من مراكز الثقافة والعلم لا ينافسها في موضعها منها إلا بغداد ، كانت كذلك تعج بأصحاب اللهو والمجون وهذا ما أدى بأبي نواس أن ينشأ منشأ خلقيا ماجنا.

وتدل نصوص مختلفة على أبا نواس أثناء مكوثه في الكوفة والبصرة كان يختلف إلى حلقات اللغويين خاصة حلقة خلف الأحمر ، وهو الذي دفعه إلى حفظ المئات من الأراجيز[30] .

ويقال أنه خرج إلى البادية سنة ، ولم يختلف أبو نواس إلى حلقات اللغويين وحدهم بل أيضا إلى حلقات الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، حيث قالوا: « أنه بدأ حياته متكلما ، ثم نظم الشعر فحثه خلف الأحمر على ألا ينظم الشعر إلا بعد أن ينسى تلك الأراجيز التي حفظها[31] ، وإضافة إلى إتقانه اللغة العربية تعلم كذلك الفارسية عن أمه وحذقها فظهر ذلك في شعره .

تعلق أبو نواس بجنان جارية ثقافين فتزور عنه لسوء سلوكه ، فينظم فيها كثيرا من غزله ، وكانت أوّل امرأة شغفته حبًا، وهو لا يزال في البصرة لا يزال يختلف إلى المزيد وحلقات العلماء[32]».

---

[28] - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، دار الصّادر ، مطبعة بريل ، 1902 ، ص 501 .

[29] - حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ،مكتبة البوليسية ، ط1 ، لبنان ، 1980 ، ص 395 .

[30] - المرجع نفسه ، ص 392 .

[31] - مصطفاوي موهوب ، المثالية في الشعر العربي ، ديوان المطبوعات ،الجامعية ، الجزائر، 1982 ، ص 416 .

[32] - المرجع نفسه ، ص 420 .

وبعد أن مل من البصرة وأهلها انتقل إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد ويقال أن إسحاق الموصلي ذكره لهارون الرشيد ، فأذن له بالدخول فمدحه أبو نواس .

ونال منه الكثير من العطايا وكان أبو نواس مجاهرا بالفسوق ، ما جر بنفسه بذلك كثيرا من عقاب الخلفاء وعذابهم ، وكثيرا ما افتخر بارتكاب جميع الموبقات ما عدا الشرك بالله[33] .

كما سخر من الحديث المرويّ في النهي عن الخمر وأعلن طاعة إبليس في شاربها ، واستهزأ كذلك بالحج وبعض فرائض الدين الإسلامي ، ورغم مسار حياة أبي نواس الماجنة إلا أنه في أواخر حياته وبمرضه ، تأسف عن حياته التي قضاها كلها لعبا ولهوا ولم يذكر فيها طاعة الله إلا هزلا وسخرية ، حيث وافته المنية في بغداد سنة تسع وستون ومائة هجري (169هـ)[34] .

) الزمن وفسحة امتداده بين الحياة والموت :

أ) البعد الدّلالي والفلسفي في خمرياته :

لا يختلف أحد على أن شعر الخمرة عند أبي نواس هو عالمه الحقيقي الذي تتجلى فيه عبقريته الشعرية وأصالته ، وهو الذي يحدد الصفات المميزة لشخصية الشاعر وفنه وموقفه الفكري والحياتي[35] .

وقد قدم للخمر ما لم يقدمه غيره ممن سبقه من شعراء نظموا في الغرض نفسه[36] .

ولما كانت للخمرة أهميتها الكبرى في مجتمع الشعراء فهي عند أبي نواس تأخذ مكانتها من منادمته إياها باستمرار ، ومن خلال تعدد أوصافها أو تشخيص سماتها المميزة فهي عنده أحيانا رفيقة درب لا يستطيع مفارقتها ، ولا يرضى عنها بديلا بقوله :

دَع عنك لومي فإن اللوم إغراءُ وداوني بالتي كانت هي الداءُ [37]

فجعل الخمرة سرّ الحياة واعتبرها كائنا حيا ، ويؤكد ذلك بقوله :

---

[33] - كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، القسم 1 ، مطابع الهيئة المصرية للكتاب ، 1993 ، ص 347 .

[34] - محمد خفاجي ،الحياة الأدبية في العصر العباسي ، ص 150 .

[35] - محمد زكي العشماوي ، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ، دار النهضة العربية ، لبنان 1981، ص 212 .

[36] - حسن اسماعيل ، شعرية الاستهلال عند أبي نواس ، دار العلوم ، 1981، ص 42 .

[37] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 137 .

قهوةٌ تقرن في جِـــــسْ مِكَ مع رُوحِك روحـــًا

وقوله :

مَا زِلْتُ أَسْتَلُّ رُوحَ الدِّنِ فِي لُطْـــفٍ وَاسْتَقِي دَمَهُ فِي جَوفٍ مَجْرُوح
حَتَّى انْثَنَيْتُ وَلِي رُوحَان فِي جَسَدِي وَالدِّن مُنْطَرِحٌ جِسْمًا بِـــلَا رُوح [38]

فجعل الخمرة طاقة تغيير وتبديل ، وتمنح شاربيها القدرة على تغيير الزمن وإخضاعه لمشيئتهم في نحو قوله :

دَارَتْ عَلَى فِتْيَةٍ دَانَ الزَّمَانُ لَهُم فَمَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا

كما أنها " أي الخمرة " قادرة على تحويل القيم فتجعل القبيح جميلا والسقيم صحيحا وتترك الطويل منم العيش أو الرتيب الممل منه قصيرا ممتعا .

لَا تَلُمْنِي عَلَى التِي قَتَلَتْنِي وَأَرَتْنِي القَبِيحَ غَيْرَ قَبِيـــحْ
قَهْوَةٌ تَتْرُكُ الصَّحِيحَ سَلِيمًا وَتُعِيرُ القَيِّمَ ثَوْبَ الصَّحِيحْ [39]

ومن شدة تأثير الخمر في شاربها أنها تفقد الإحساس بالزمن فلا يحس بوطأته أو بثقله أو حتى بتتابعه وأيامه ، كما تحرر صاحبها من قيود العقل وسيطرته والالتزام بأحكامه وقد صور أبو نواس هذا الإحساس عندما جعل الخمر تترك من يذوقها يرى الجمعة كالسبت ويرى الليل كالنهار يقول :

تَتْرُكُ المَرْءَ إِذْ مَـــــا ذَاقَهَا يُرْخِـي الإِزَارَ
وَيَرَى الجُمُعَةَ كَالسَّبْت وَكاللَّيْلَ النَّـــــهَارَا

---

[38] - أحمد حيدوش ، الإتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 114 .

[39] - محمد زكي العشماوي ، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ، ص224 .

وللخمر تأثيرها بما تتركه في نفس شاربها من نشوة ، فهي تطرح الهم عن النفس وتحول الأحزان إلى أفراح ، وتطلق المكبوت والمكنون ، وتجعل شاربها في خفة هوائية ، كأنها تجعله روحا خالصة ويقول :

تَمَتَّعْ مِنْ شَبَابٍ لَيْسَ يَبْقَـــى وَصِلْ بِعِرَى الغَبُوقِ*عِرَى الصَّبُوحِ
لأَنِّي عَالِمٌ أَنْ سَوْفَ تَنـــْأَى مَسَافَةً بَيْنَ جُثْمَانِي وَرُوحِـــــــي [40]

... وشعوره نحو الخمرة لم يقف عند حد النظرة إليها كأنثى محبوبة أو معشوقة بل نظر إليها كأم أي أنه شعر نحوها بشعور الولد نحو أمه .

ولكن ينبغي أن نلاحظ هنا أن أبا نواس لم ينظر إلى الخمر نظر الولد إلى أمه ، وإنما نظر إلى الكرم على أنها تمثل الأم وأنها تمثل رمزا للأم ، في حين نظر إلى الخمر على أنها تمثل ابنتها تارة ، وتمثل حليبها طورا ومن ذلك قوله :

عُقَارُ أَبُوهَا المَاء ، وَالكَرَمُ أُمُّهَا وَفِي كَأْسِهَا تَحْكِي المِلَاءُ المُزَعْفَرَا

وقوله :

دَعْنِي مِنَ النَّاسِ وَمِنْ لَوْمِهِمْ وَأَحْسِنْ ابْنَةَ الكرم مَعَ الحَاسِي[41]

لم تعد الخمرة عند أبي نواس بنتا للكرمة ، ولا مادة للسكر تجلي الهموم من صدور شاربها ، ولم تعد أيضا سبيلا لمعاقرتها في الحوانيت أو في مجالس الندماء للمسامرة وقتل أوقات الضجر بل تبدت في تبصره كوكبا مداريا يجسد في صفاته جوهر الكواكب الكونية : فيها الشمس ، القمر والنور والظلام ... فلم يربط دورة الزمن بالشمس والقمر ، بل جعل الخمرة محور هذه الدورة [42].

ثم أنظر إليه كيف يصور الخمر في خابيتها كالشمس التي صيدت وحبست في باطية كأنها الشمس انتقلت بحرارتها ودفئها ووهجها فتجمعت في هذا المكان الضيق :

---

[40] - نفس المرجع ، ص 225-227 .

* الغبوق : الشُّرب بالعشي .

[41] - أحمد حيدوش ، الإتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، ص 118 .

[42] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 141 .

وَاشْرَبِ الخَمْرَ عَلَى تَحْرِيمِهَا إِنَّمَا دُنْيَاكَ دَارٌ فَانِيَـــــةْ
مِنْ عُقَارٍ مَنْ رَآهَا قَالَ لِـــي صَيّدت الشّمْسَ فِي بَاطِيه[43]

لكن يبقى الحنين الأقوى إلى الأم ، وإلى الإرتضاع من ثديها ، حيث يشير إلى نشأة خمرته من حجر أم الزمان كما أنها سن الدهر إن هي فُرَّتْ نشآ وارتضعا من لبانها :

فَتَعَزَيْتُ بِصِرْفٍ عُقَـــــــارٍ نَشَأَتْ فِي حِجْرِ أُمِّ الزَمَــانِ
فهْيَ سنّ الدهْرِ إنْ هيَ فُــرّتْ نَشَا* و ارتضعا من لِبَـــانِ [44]

ب) التحديق والتفتيش عن النفس نحو الزمن الضائع :

إن الحديث عن شذوذ أبي نواس الجنسي يقودنا إلى مدى صدق ما ألصق بالشاعر من نوازع وأهواء لخلاعته ، وإباحيته الجنسية المثلى أو عدم ذلك بما أشيع عنه من نوادر وأخبار ، ليس له فيها من شيء ، فإن حالته النفسية المضطربة كانت طيعة لتقبل مثل هذا المثل الغريزي ، وكذا ما استأثر في مجتمعه من مؤثرات منحرفة بشيوع الإباحية ، وتفشي المجون الذين عززا فيه هذا الاتجاه ، ولو بقسط يسير لما توافرت فيه من مواصفات سلوكية وبيولوجية في شكله الجسمي[45]. فليكن أبا نواس ذلك الفتى الذي تتم فيه دلالات التكوين الأخرى هذه الملامح ، كاللثغة وبحة الصوت اللتين تشيران إلى تكوين وسط بين كيان الصبي وكيان الشباب الناضج ، مما جعله يشعر في طفولته بمحاسن بدنه شعورا نرجسيا ، إضافة إلى عوامل بيته الذي أخذ منه النرجسية ...وهو يتربى مدللا محروما من الرعاية الرشيدة ، وأخذها من مشاهداته فيه ، وهم يخطو إلى الفهم ويظن أنه يتعقل ما يراه [46].

وأبو نواس كان يعاني في طفولته حرمان الرضاع والحنان من أمه التي تركته طفلا يافعا ،وراحت تعيش على هواها في بؤر الفساد ، وحرمان الأبوية التي افتقدها بموت أبيه ، فهذه الرغبة

---

[43] - محمد زكي العشماوي ، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ، ص 221 .

[44] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 153 .

[45] - عبد القادر فيدوح ، الإتجاه النفسي في نفد الشعر العربي ط1 ، دار صفاء ، عمان 2009 ، ص 201 .

[46] - أحمد حيدوش ، الإتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، ص 129 .

المفقودة أو بالأحرى ظلت مكبوتة دون أن يكون منتبها إليها ، وهي تناضل في سبيل أن تظهر في الشعور الأمر الذي هبط به إلى تلك الحالة النفسية القذرة[47] .

فاستعاض الشعور الجنسي بالشعور العاطفي ، فتضاعفت فيه الغرائز المكبوتة في لا وعيه وانطوت نفسه إلى أن تفجرت باحتضان الحرية الفطرية وتجاوز الموروث وكل ما من شأنه أن يمت بصلة إلى القيم الأخلاقية الفاضلة ، فكان طلب المحضور أمله الوحيد بتحقيق رغبته في إثبات ذات جديدة متميزة عن الهوية الموروثة ، غير أن مجرى إلى خدمة بعض الغايات لسلبية ، غير مبال بتأكيد وجود الآخرين ، ولعل ذلك ناتج عن موقفه الصبياني[48] .

يطلعنا النّويهي بهذه الظاهرة ، بالعودة إلى الوراء في سلوكاته وتخميناته أثر تعلقه بمبدأ اللّذة المرتبطة أساسا بالميول الجنسية المكبوتة منذ طفولته حين ترسبت فيه لما رآه من أمه وهو صغير إلى أن حاولت هذه الميول الإفصاح عن نفسها بعد حجبها نتيجة لمؤثرات خارجية في مجرى تطور الشاعر نحو آفاقه الفسيحة في هذا المجال[49] .

وعوامل عصره الذي كان أول عهد البصرة بالبوهيمية المتشردة المتهجمة ... ففي ذلك العصر أخذ البوهيميون بعاداتهم وأساليبهم التي تجمع بين غارات الفتك والعدوان وغارات الغواية والمتاع المبذول حيث يستطاع الفتك أو يروج المتاع .

وعلى هذا الأساس فأبو نواس قد نبت بين إباحية الشطار وإباحية الشّذاذ من جميع الآفاق في مآلف الغواة والفساق[50] .

ولذلك تسربت هذه الدوافع المكبوتة في أعماق منطقة لا وعيه ، والتي أطلق عليها فرويد اسم اللّاشعور حيث تصبح نسيا منسيا ولا يفطن المرء إلى وجودها ولا يدركها ولا يعترف بها ، ومن ثم لا يستطيع إشباعها بطريقة مباشرة ، ولكن هذه الدوافع وتراكمها في اللاشعور لا يعني انعدامها ولكنها تسعى من حين إلى آخر لكي تظهر أثناء ما يعترض النفس البشرية من مشاهد تثيرها فتبدو هذه الدوافع اللاشعورية في سلوك الفرد بصور ملتوية مقنعة [51].

---

[47] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 133 .

[48] - عبد القادر فيدوح ، الإتجاه النفسي في نفد الشعر العربي ، ص 202 .

*نشا : أي أصبح نشوانا بمعنى سكرانا .

[49] - عبد القادر فيدوح ، الإتجاه النفسي في نفد الشعر العربي ، ص 203 .

[50] - - أحمد حيدوش ، الإتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، ص 129 .

[51] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 134.

جـ) الضياع بين دوافع الحياة والموت :

هذا الشعور المثار والمتيقظ في نفس أبي نواس دفعه إلى أن يتباهى بالعدوانية التي جعلته يفخر ويتباهى بانصرافه إلى المجاهرة بميوله الجنسية الملتوية ، جاءت في شعره تتنافى ومبادئ القيم الأخلاقية التي لا يمكن الإتيان على ذكرها لما فيها من كلام بذيء ومنحط[52] ، إذ عند ذلك يعد سلوكه نتيجة لرغبة دفينة تلح عليه في طلب الإشباع ، وفي سبيل إشباعه تلك الرغبة الدفينة ، وعجزه عن تحقيق اللذة الكاملة التي كان يطلبها راح يتحدى الجميع ويهزأ بقيمهم وأعرافهم[53] ، وكذلك حيث لم يعد يجد في هذه المرأة إلى الصد والتهديد فراح يشبهها بسلوك هذا اليهودي المخادع والمراوغ [54]، كما أنه إنقاذ للخمرة والارتماء في أحضانها أدى به إلى اعتبارها ذاتا مشخصة يلتمس فيها عزاءه ، وتعزز فدرته على مقاومة عبء الحياة و مظانها ، ومن ثمة كانت فضيلته رهن الاستجابة لنداء الخمرة « لم تعد له مجرد شراب كائنا ما كانت مزاياه ومحاسنه ، بل صارت مخلوقا ذا شخصية ، فردا له ذات قائمة بنفسها ، وهذه للذات تتألف مع ذاتية أبي نواس وتتصل بأعمق أسرار نفسيته اتصال التوأمين السياميين لا انفصال بينهما ما داما حيين ، فإن تطرق العدم إلى أحدهما فني الآخر سريعا » فهي شقيقة روحه :

عَاذِلِي فِي المَنَامِ غَيْرَ نَصِيحٍ لَا تَلُمْنِي عَلَى شَقِيقَة رُوحِي[55]

---

[52] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 134 .

[53] - أحمد حيدوش ، الإتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، ص 126 .

[54] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 135 .

[55] - عبد القادر فيدوح ، الإتجاه النفسي في نفد الشعر العربي ، ص 191-192 .

إن زمن أبي نواس الذي عاشه لم يكن محصورا في مكان الخمارات وملاهي الدعارة ، بل راح يحدد مسافة امتداده بين الحياة والموت [56]، وقد يكون من المستغرب أن نجد أبا نواس زاهدا وهو زمن هو مجونا وإقبالا على الحياة ، وانصرافا عن كل ما يذكره بالموت والآخرة والحساب ، لكن التقييم النفسي اليوم يثبت أنه أكثر الناس قربا من الله، بل أكثرهم حاجة إليه هو أكثرهم فسوقا وخلاعة وزندقة ومرضا .

إنه أدرك بأن زمن الإنسان محدود في هذه الدنيا ، و أنه كإنسان سيدركه الموت وهذا ما نجده بالفعل عند أبي نواس حين كان وجدانه يتألق ، وضميره يستيقظ في غمرة من انهيار صحته ، واشتداد ألمه أثناء لياليه الموحشة حيث ينصرف عنه رفاقه ، فيروح يهمس في أذن السماء توسلات ضارعة ، وآهات خاشعة منية هي الصدق كل الصدق ، والتوبة الخالصة النصوح[57] .

إن الحياة عند أبي لا يستقر زمنها على حال من حالات وجوده في دنياه ، فهي تقوم على تضاد بين الحياة والموت وبين الخير والشر ، وأن عمر الإنسان بكف الموت ، وأن الإنسان مهما جمع من مال ومهما تملك من قصور، فإن حظه في دنياه إلا الكفن عند مماته فيقول :

نَحْنُ فِي دَارٍ يُخْبِرُنَا ... بِبَلَاهَا نَاطِقَ لَحْنْ
دَارُ سُوءٍ لَمْ يَدُمْ فَرَحٌ ... لِامْرِئٍ فِيهَا وَلَا حَزَنْ
كُلُّ حَيٍّ عِنْدَ مِيتَتِهِ ... حَظُّهُ مِنْ مَالِهِ الكَفَنْ[58]

---

[56] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 135 .
[57] - خليل شرف الدين ،أبو نواس ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ص 60 .

[58] - نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 136 .

) قياس مفردات الزمن الشاعرين عند الشاعرين :

أ) اليوم :

اليوم عند أبي نواس ينقلب إلى سنة ثقلته الهموم ، ورجحته المصائب وربما تأتت هموم أبي نواس بسبب النقص الذي يعاني منه من ناحية نسبه ، لذلك اتخذ الخمر حلّا لصراعه النفسي الناتج عن مركّب النقص لديه من ناحية نسبه غير المعروف الذي يضغط عليه ويثقل كاهله .

ولكن يعود صراع أبي نواس مع همومه خاصة بابتعاده عن الخمرة ، لذلك وجد يومه طويلا طوال الأيام النّساك أنشد[59] :

فِدَاؤُكَ نَفْسِي قَدْ طَرِبْتُ إِلَى الكَأْسِ وَثُقْتُ إِلَى شَمِّ البَنَفْسَجِ والآسِـــي
فَهَلْ لَكَ فِي أَنْ تَجْعَلَ اليَوْمَ نُسَكًـا وَنَشْرَبُهَا فِي البَيْتِ سِرًّا مَنَ النَاسِ

أما الأيام التي يحياها بغير خمر فليست محسوبة من عمره ، فالعيش عنده لا يحتسب إلا حيث توجد الخمرة لأن الخمر لا تنزل الأحزان ساحتها ، أي لا تقترب منها فإذا ظهرت الخمرة اختفت الأحزان حيث يقول[60] :

صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الأَحْزَانُ سَاحَتَهَا إِنْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ

ويطول اليوم إلى حدّ اليأس مع فراق الحبيبة وعدم رضاها ، وفي ذلك يزاوج أبو نواس بين حبيبتين: المعشوقة والخمرة ، يقول في وصف فراق الحبيبة ويأسه فيه[61] :

أَمَا كَفَى طَرْفُكَ أَنْ يَنْظُـــــرَا إِنْ رَاحَ لِلتَّسْلِيمِ أَوْ بَكَّـــرَا
رَأَى الذِي لَمْ يَهْوَى فَلَمْ يَرْضَـهُ حَطًّا وَمَا أَكْثَرَ مَنْ لَا يَـرَى
فَشَأْنُكَ اليَوْمَ وَشَأْنُ الـــــذِي تَهْوَى فَمَا أَيْأَسَ أَنْ تَظْفَـرَا
قَصْدُ الفَتَى فِي كُلِّ مَا رَامَــهُ أَنْ يَبْلُغَ الغَايَةَ أَوْ يُعْـــذَرَا

---

[59] - نضال الأميوني دكّاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 188 .

[60] - أيمن محمد زكي العشماوي ، خمريات أبي نواس ، دار المعرفة الجامعية ، 2008 ، ص 208-214 .

[61] - نضال الأميوني دكّاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 188 .

وراح بشار يمدح من المعين نفسه ، وعبر عن طول اليوم بسبب لوعة الفراق ، أو تزاحم الهموم فمن أمثلة طول ساعة الفراق ، بحيث ينقلب أسود كأنه ليل دائم لم يحسب له حساب قوله :

طَرَقتْ حُبِّي بِهَـــــمٍّ كَادَ يُنْسِينِي مَآبِـــــي
واسْتَزَادَتْنِي عَلَى الهَوْ لِ بِطَاعُون الشَّبَـــابِ
يَوْمَ قَالَتْ تَحْذَرُ العَيْ نَ عَلَى ذَات الحِجَـابِ
كُنْ غُرَابًا حِينَ تَأْتِـي بَيْنَنَا أَوْ كَغُـــــــرَابِ
قُلْتُ لَمَّا بَرَحَتْ بِـــي لَمْ يَكُنْ هَذَا احْتِسَابِـــي
حَيْثُ أَرْجُوكُمْ فَسِمْتُمْ زُورَكُمْ سَوْطَ عَـــذَابِ

وفي نقيض ذلك اليوم يقصر اليوم إلى أدنى حد له مع وصال الحبيبة ، وسويعات الهناء ، لذا شاع القول :

لَيْلُ الحَبِيبِ مَعَ الحَبِيبِ نَهَارُ وَكَذِلَكَ أَوِقَاتُ الوِصَالِ قِصَارُ[62]

[62] - نضال الأميوني دكّاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 189 .

ب) اللّيل :

أمّا الليل فقد انتشر في ديوان أبي نواس وبشار انتشارا كبيرا ، لأنه محل سكون الحواس ، وهدوء الأنفاس ، ويرتبط ذكره بالقلق والسهر ، حيث تجد (الأنا) في الظلام حافزا قويا للارتداد إلى ذاتها ، فالليل يستر بظلامه أفعال العباد ، ويكتم فعل الحب ، لذلك الشعراء من الليل أفزع ، وإلى النهار أفزع ، لأن الليل أجمع لأشتات الهموم والفكر ، وأجاب لشوارد الأحزان والذكر ، لذلك يطول ليل المهموم ويتسع زمنه على المنكوب المكدود ، يصف بشار طول ليل الفراق[63] :

طَالَ لَيلِي مِنْ حُبِّ مَنْ لَا أَرَاهُ مُقَارِبِـــــــي

طول الليل الذي يشير إليه ليس إلا امتدادا لدلالة ليلة السمردي الذي أطفئ منه ضوء الحياة ، بعد أن كف بصره ، فالليل الطويل هو فراق حبيبته ، و وجود المحبوبة عبدة إلى جانبه لا يمكن أن يحدث أبدا .

وترى بشّارا شديد العجب من شدة الطول ، لأنه عهد ليله بالقصر ، ولكن حدثان الدهر ، وهجر الحبيب سبّبا هذا التحول الفلكي ، قال موضّحا [64] :

طَالَ لَيْلِي بَلْ طَالَ هَذَا السَّهَـــرْ وَلَقَدْ أَعْرِفُ لَيْلِي بالقِصَـــرْ
لَمْ يَطُلْ لَيْلِي حَتَّى جَفَانِي شَـادِن نـاعم الأطراف فَتَّانُ النَظَـرْ
لِي فِي قَلْبي مِنْه لَوْعَـــــــةٌ مَلَكَتْ قَلْبِي وَسَمْعِي وَالبَصَرْ

ويقول أيضا في وصف ليل العاشقين[65] :

لِخَدَّيْكَ مِن كَفَّيْكَ في كلّ ليلـةٍ إلَى أَنْ تَرَى وَجْهَ الصَّبَاحِ وِسادُ
تَبِيتُ تُرَاعِي اللَّيْلَ تَرْجُو نَفَاذَهُ وَلَيْسَ لِلَيْلِ العَاشِقِينَ نَفَـــــــاذُ

---

[63]. 39 ص ، بشار بن برد ، ديوان عباس ، إحسان -

[64]. 445 ص ، نفسه المصدر -

[65]. 442 ص ، نفسه المصدر -

أمّا أبو نواس فأصابه ما أصاب بشار من ثقل وطأة الليل بسبب الهموم المتمثّلة بهجر المعشوق
والبعد عن الخمرة المعشوق الثاني ، أنشد أبو نواس[66] :

لَأَقْطَعَنَّ نِيَاطَ الهَمِّ بِالكَـــأْسِ فَلَيْسَ لِلهَمِّ مثل الكأس من آسِ
كَأَنَّ كَاسَتَنَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِـــرٌ سَرْجٌ تَوَقَّدَ فِي مِحْرَابِ شَمَّـــاسِ

أما مع الوصال فالليل قصير ويتمنى أن لا يبارحه فيقول[67] :

أَيَا لَيْلُ لَا انْقَضَيْتْ وَيَا صُبْحُ ... لَا أَتَيتْ
وَيَا لَيْـــلُ إِنْ أَرَدْتَ طَرِيقًا ، فَلَا اهْتَدَيْـــتْ
حَبِيبِي ، بِأَيِّ ذَنْـبٍ بِهُجْرَانِكَ ابْتُلِيـــــــتْ
فَوَ الله لَا صَرَمْتُكَ فاحتل بما اشتهيـــــتْ
وَ وَالله لَا قَطَـــعْتُ كَ إِنْ زُرْتَ أَوْ نَأَيْـــتْ
وَلَا زِلْت عَاشِقا لَكَ إِنْ شِئْتَ أَوْ أَبَيـــــتْ

فهو يقبح بالليل ويتمنى له أن لا يبارح و أن لا يطلع الصبح دونه فهو الذي جعل حبيبه ينأى عنه ، ويخاطب الحبيب ويقول إنه لم يصرمه أي إنه لم يقاطعه وهو مقيم على حبه قربا ونأيا ، يحبه أشاء أم أبى وحين حاول أن ينساه لم يفلح وهيهات أن يدرك السلوى وينعم بالهجران .
والليل بعد ذلك قصير ، قصرته معاقرة الخمرة ، فالخمرة تخفف من وطأة الزمن وطوله قال أبو نواس[68] :

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وقلْ لِي هِيَ الخَمْرُ وَلَا تَسْقني سِرًّا إِذْ أَمْكَنَ الجَهْـرُ
فَمَا العَيْشُ إِلَّا سَكْرَةٌ بعد سكـــــرةٍ فَإِنْ طَالَ هَذَا عِنْدَهُ قَصُرَ الدَّهرُ

---

[66] - نضال الأميوني دكّاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 191 .

[67] - أبو نواس ، شرح ديوان أبي نواس ، ج1 ، دار الكتاب اللبناني ، 1987 ، ص 208 .

[68] - المصدر نفسه ، ص 391 .

ويتواصل الليل مع النهار إلى درجة يصبحان واحدا ، إنه النهار من شدة ضوء الوصال يقول بشار[69] :

فَصلُ اللّيلِ بالنّهار إلى أَنْـــو رَ فيه تعرُّض والتـــــــواءْ
واسترح بِالحَبيب في ما تَلَاقي كلُّ شيءٍ سوَى الحبيب عناءْ

[69] - نضال الأميوني دكّاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 192 .

جـ) أيام بأسمائها :

ومن معايير الزمن المتجددة في ألفاظ الليل والنهار ، إلى أيام الأسبوع يلهثان الشاعران فيها ، ويجدّان في ذكرها ، ومتوترة ومتواترة ، لأنها وعاء العمل ومحل للمحبوبة ، وهي صورة سلبية فاقدة لمعنى الحياة المشرقة ، بل إن وجودها على هذه الشاكلة يجعلها تقف في صف الزمن التي تتضمن أطهر صفاته ، وهي التغيّر وعدم الثبات[70] ، أنشد :

أَسْقَمَتْ لَيْلَةُ الثلاثاء قَلْبِـــي وَتَصَدَّت في السبت لي لشقائِي
وَغَدَاةَ الخَمِيسِ قَدْ موَّتَتْنِـــي ثُمَّ رَاحَتْ في الحلَّة الخضــراءِ
يَوْمَ قَالَتْ : إِذْ رَأَيْتُكَ فِي النّو م خَيَالاً أَصَبْتَ عَيْنِي بِـــدَاءِ

ويتابع ذكر أيام الأسبوع في القصيدة أنشد[71]:

لَيْتَ حَظِّي مِنَ العِبَادِ وَمِمَّا خلق الله لذّة للعبـــادِ
ريق حبّي أحسوه سبعـــةَ أيَّامٍ شفاءً لقرحة بالفؤادِ

وأبو نواس في أغلب شعره يتعامل مع الزمن وكأنه يسعى إلى ن يؤكد أن أفعاله هي لحظات زمنية ذات قيمة ، على نحو ما نرى في الأبيات التالية وهو يتحدّث عن شرب الخمر على مدار الأسبوع ويتناول أيام الأسبوع في متوالية زمنية خاصة على هذا النحو[72] :

فَلَمْ نَزَل فِي صَبَاحِ السَّبْتِ نَأْخُذُهَا وَاللَّيْلُ يَجمَعنا حتَّى بَدَا الأَحَـــدْ
ثُمَّ ابْتَدَأْنَا اللَّهْوَ مِنْ أُمَـــــــــمٍ فِي نِعمَة غَابَ عَنْهَا الضِّيقُ والنكدْ
حَتَّى بَدَتْ غُرَّة الاثنين وَاضِـــحَةً والسَّعْدُ مُعْتَرِضٌ وَالطَّالِعُ الأَسَـــدْ
وَفِي الثُّلَاثاء أَعْمَلْنَا المَطِيَّ بِـــهَا صَهْبَاء ، مَا قَرَعَتْهَا بِالمِزَاجِ يَـــدْ
وَالأربعاء كَسرنَا حدَّ سُورتِـــــها وَالكَأْس يَضْحَكُ فِي تِيجَانِهَا الزَّبَـدْ
ثُمَّ الخَمِيسُ وَصَلْنَاه بِلَيْلَتِـــــه قَصْفًا ، وَتِمْ لَنَا بِالجُمعة العَـــددْ
يَا حُسْنَا وَبِحَارَ القَصْفِ تَغْمُـرُنَا فِي لُجَّةِ اللَّيْلِ ، وَالأَوتَار تَغْتَـــرِدْ

---

[70] - إبراهيم أحمد ملحم ، جماليات الأنا في الخطاب الشعري ، ص 171 .

[71] - نضال الأميوني دكّاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 192-193 .

[72] - أيمن محمد زكي العشماوي ، خمريات أبي نواس ، ص 86 .

والراجح أن الذي جر بشارا على عد الأيام ، وأبا نواس على الإجمال ، هو بصيرة أبي نواس القادر على التمتع كل يوم ، وقصر مقدرة بشار ، التي راحت تمني النفس بعد الأيام في انتظار السعادة والأنعام[73] .

[73] - نضال الأميوني دكّاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 192 .

2) أوجه التّشابه والاختلاف في معاني الزمن عند الشاعرين :

يعبر بشار في شعره عن طول الإحساس بالألم ثم العجز عن الخلاص منه أو التسليم بحكمته ، مما يؤدي ذلك إلى نوع من اليأس وإلى ثورة ترفع الواقع .

إن بشارا لم يرضى بالواقع أو يستسلم له ، أو يصبر عليه فرضه في ثورة عنيفة فهو في مواجهة كبيرة مع الزمن تود الكشف عن مناطق الوجع الداخلي والخارجي ، الذي فرضه عليه الزمن .

ومن أوجاعه محنة العمى ، وضعف النسب التي لحقت به ، دفعته الآفة إلى اتخاذ موقف الرفض والثورة والميل والاستخفاف والبطش ، وكان اندفاعه إلى ذلك تعويضا على هذا الشعور الذي كان ينتابه ويثقل عليه ، وهو إحساسه بالعجز وشعوره بضيعة أصله*.

فهو يقر بأن الزمن يبدأ من نقطة واحدة ، ثم ينمو ويمتد في خط متماسك ، معتمدا في منظوره على المنظور العربي ، الذي يعتبر أن الزمن يختلس أمانيه ويسلبه كل ما يحاول تحقيقه ، ويمنعه عن تحقيق طموحاته التي تتمثل في ميوله الجنسية ، التي ظلت مكبوتة في داخله ، بينما الزمن عند أبي نواس يبقى فعل نمو وتحول ، خاضعا يقين ثابت ، فقد كان للشاعر موقفه من الزمان الذي يتجسد عنده بالدهر ، وهكذا كان يرمز للزمن بهذه الكلمة ، وكانت تعني لديه الخطر الذي يهدد الإنسان ، بوصف الزمان عاملا مهددا للبقاء والحياة معا ، فالزمن يُنقص الحياة ويأكل منها وينهشها ، فالزمن قصير ومحدود ، ومع ذلك فقد كان له منه موقف مغاير ، والتقى معه في فكرة الانتصار على الزمن ، فالزمن يلقي بالإنسان في الحياة ليواجه مصيره ويواجه حريته* .

أمّا منظور بشّار فهو دائما ينتابه شعور بأن الزمن مصدر سالب للحياة المعاشة ، فالزمن يفرض عليه الرعب والخوف من جرّاء تقلّباته ، وغموض مصير الإنسان في مستقبله ، فيأخذ الانسياق مع تيار شهوة النفس ، ولذلك يبقى عطشًا دائما في طلب اللّذة .

بشار كشاعر كان يعيش زمن ماضيه الذي أمضى فيه مطالبه المخففة في معبد قائم هو عالم الوجود ، وكان يكتفي بما تقع عليه حواسه ، أو ما تتصوره ، فهو يحلل عناصر الأشياء ويقلبها ، لكي يكشف ما في داخلها .

أما أبو نواس فهو مسكون بهاجس التحول للزمن سعيا لكسب مواقيته في طلب الخمرة ، فهو يصف الخمرة بالقدرة على تغيير الزمان وتحويله إلى قيمة خاصة مختلفة وإلى طاقة ذات فاعلية في التبديل و التحويل ، فهي ذات إرادة قادرة على خلق الوجود الذي يتمناه شاربوها ، فهي تجدد

---

* بتصرف : نضال الأميوني دكّاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، ص 204 .

* بتصرف : إبراهيم أحمد ملحم ، تحليل الأنا في الخطاب الشّعري ، ص 80 .

فيه نخوة الشباب ، فتمده بطاقة نورانية تشعّ فيما حوله ، تبدد أمامه طلاسم ما ترسم من فرائض ومن عادات موروثة ، وعندها لم يعد يؤمن بما فرضته عليه الحياة ، مرورا بالحلال والحرام والدنيا والآخرة ، والخير والشر، والروح والجسد .

أبو نواس لا يعاني صراع التناقض في الحياة بخيرها وشرها ، فيما يصوره أو يشتكي منه ، أو يظهر ضعفه وعدم مقدرته على ما نال من استلاب في صراعه مع الزمن من أجل تحقيق رغباته كبشار ، بل نراه يجعل من صراعه مع الزمن قدرة على تحويله ، ولكن كليهما في غزله جعل اللغة الشعرية تمثّل زمن المكونات المستجدة في ترسيم الصورة التي لم تعد تقصد لذاتها ، بل تقصد في منظورهما لما تولده من إيحاءات ، أو من أجواء هي نفسها مقومات التعبير الشعري الذي يحمل في أبعاده معنى الحداثة ، بحيث تشكل البحث عندهما من اعتبار اللغة على أنها كائن زماني متواصل مع الحياة ، لذلك أقاما لغتهما الشعرية من خلال :

– الجمع بين الزمان والمكان ، حيث كانا عاملين من أهم العوامل في تحديد اتجاهات شعرنا العربي قبل الإسلام .

كما أن النص الشعري قد تبدى من خلال إنشاء علائق جديدة بين الكلمات ، غير أن سماته من حيث الشكل التعبيري قد اختلفت عند كل منهما .

وكذلك لم يعد الشعر عند الشاعرين فعل صياغة اليقين ، بل صار الشعر وسيلة لإدراك الوجود فالشاعر هو الذي يعبر عما هو موجود ، وكلما ازدادت قدرات الذات على تفهم الحياة واستيعاب مجرياتها ، ازدادت قابليتها على فتح روافد جديدة على الساحة الشعرية .

إن مهمة فن الشعر تهدف إلى تغيير العالم الملتزم عاداته وتقاليده الموروثة القديمة وحتّى إيمانه الديني ن ليكون الإنسان سيّده ليصنع حياته بيده دون قيد ، ودون الخضوع للعادات والتقاليد الموروثة* .

فالشعر عند بشار و أبو نواس ، ارتبط بالتجربة الذاتية الإنسانية ، ليفجر طاقة الإنسان المعبرة عن قدراته وعن كل ما هو كائن في نفسيته .

لقد فتح كل منهما طريقا خطيرة لكتابة الشعر ، التي أصبحت تعبيرا عن هموم الشاعر وعن موقفه من الحياة والوجود .

إن كلا منهما قد جاهر في احتساء الخمرة ن وهذا دليل على ثمرة الحرية التي أفسحت لها في المجال لكي يتمتعا بشربها ، وأن يسلك سلوكا ملتويا في طلب اللذة ، والجهر والإباحية ، وما ذلك إلا ليبلغا المدى في تصرّفاتهما ن مؤكدين في ذلك ذوقهما في شعرهما .

---

* بتصرف : إبراهيم أحمد ملحم ، تحليل الأنا في الخطاب الشّعري ، ص 78 .

وكذلك يلتقي بشار مع أبي نواس في موقفه من زمنه الرديء المعاش في طلب الجنس والإقبال على الخمّارات ، فالحياة تتمثل في طلب لإشباع غرائز الإنسان ، أو رمي الناس في بؤرة الفسق ، أو رجمهم بالهجاء الفاحش ، حيث كان أشد الناس تبرما من الناس*.

* بتصرف : إبراهيم أحمد ملحم ، تحليل الأنا في الخطاب الشّعري ، ص 80 .

خاتمة :

تفتح هذه الدراسة مدخلا نراه جديدا ، ومميّزا إلى الدراسات الأدبية ، لأنّها تناولت عامل الزّمن ومؤثّرات مواقيته المتباينة في الشعر العبّاسي .

من خلال دراسة شعر هذين الشاعرين وهما : " بشّار بن برد وأبي نواس " اللّذين عاشا العصر العبّاسي الأول وهو من أزهى العصور الأدبية في الشّعر العربي القديم .

وحيث أن للزّمن قوّة وجودية قاهرة ومؤثّرة في نفسية الإنسان ، وفي طبيعة حياته منذ لحظة مولده حتّى مماته وحيث أن الإنسان هو كائن زمني يعيش في كنف الزمن ، ويتحدد معنى وجوده فيه توصّلت هذه الدّراسة إلى معرفة زمن الشّاعرين ، وتحديد مواقيته المتعدّدة والمتباينة في طولها وقصرها وقد شكّلت هذه المعاني مرجعا نظريا كشف لنا طبيعة حياة الطفولة المنكودة عند الشّاعرين والمحرومة من رعاية الأبوّة ، ومن عطف الأمومة ، وإظهار ما تركه هذا الإهمال من عوائق ، تركت أثارها السيّئة في حياتهما ، وفي شعر كلّ منهما :

فتبيّن لنا أوّل ما تبيّن ، بصورة عامّة أنّ فكرة الحياة إلا طرفة جفن في أعين الزّمن الذي يمضي بالأصاغر والأكابر وبكل إنسان على جسر عبور من ضفة الحياة إلى وحدة الموت ، وهكذا يلتقي بشّار وأبو نوّاس مع من سبقهما من الشّعراء في نظرتهما إلى الحياة وفي موقفهما من الزّمن لتحديد أقسامه ، كون الزّمن يستقطب حالات نفس كلّ منهما في تموّجها بين مأساة العيش وتخبّطها بين الوهم واليقين وبين مطالبهما الجائعة إلى إشباع اللّذات المادية والجنسية وبين المناهج الوجدانية وبين المكان والزمان ، ومنغلقين على إحساسهما بالعجز والإحباط والشّعور بالتمرّد ودوافع الصّراع لذلك ثار كلّ منهما على واقعه المرير ، متحدّيا كلّ ما هو موروث من العادات والتّقاليد الاجتماعية والقيم الأخلاقية وعلى ما هنالك من أعراف ، يخالفانها في سلوكهما وأقوالهما ويهزآن ممّن أرادوها عيشا مشتركا ، ومحاولا كلاهما اتّخاذ مواقف وجودية عابثة ، تمثّلت في بعدها بالدّعوة إلى الإباحية الجنسية ، والاستهزاء بشعائر الدّين ، والاعتكاف إلى احتساء الخمرة علّها تنسيهما همومهما .

إنّ مواقفهما هذه تندرج في خانة الوجوديّين الذين قالوا : إن الحياة لها مغزى وجودي قائم على تحرير الذات الإنسانية من كلّ ما هنالك من قيود ، تحدّ من حريّتها ، داعين إلى استباحة كلّ ما هو متوارث وكائن متعارف عليه لرفضه وتغييره ، لذلك راح كلّ منهما يحتسي الخمرة المحرّمة ، علّها تزيل من كاهلهما عبء الهموم .

الزمن في شعر بشار عكس صورة اتّسمت بالتّشاؤم والتّخاذل في مواقفه لذلك بقي عاجزا عن تجاوز معاناته المأساوية وغير قادر على وقف عجلة الزّمن التي تواكب حياته فضلّ رازحا تحت وطأة شعوره بالعجز الدّائم ، وبعدم تمكّنه في مجال تحقيق مطامحه الذّاتية .

أمّا أبو نوّاس فإنّه استطاع أن يتسلّطن على زمنه من خلال خمرته التي أحبّها ، فأحبّته فاستحالت له أمّا بديلا تخصب الحياة بتوالدها ، وجعل من زمنها كواكب وأفلاكا تدور ثمّ أعطاها بعدا زمنيّا قبل وجود جدّة آدم ، و أنّه بمعاقرتها و ندماءه تسدّ فراغه وتبدّد مشكلته مع الزّمن ، بينما ظلّ بشّار يعيش زمنه تراجيديا ، ومحبطا في سلوكه الاجتماعي .

ومهما يكن من أمر ، فإنّ هذه الدراسة التي قامت على حركية الزمن ، بكلّ أبعاده و مراميه ، وتحوّلاته في الذّات الشاعرة ، قد تفتح أبوابا في المستقبل لدراسة الزّمن وتفاعله بالفعل الوجداني الذي لا ينفصل عن الذات التي تعيش التّجربة الإنسانية وعندئذٍ تصبح هذه الكتابة موضوعا لدراستها في كلّ زمان ومكان كونها كتابة تغايرية ، مدركة لوعي ذاتها من حضورها المعاش ، و من معرفة طاقتها القادرة على التّواصل لتكون مجالا للإبداع .

وهذه الكتابة التي تقوم على حركية الزّمن في الإنسان ، فإنّها لابد أن تعبّر في المطلق على نوازع نفسه التي يتنازعها فعل التّصرف بين الرّغبة و العجز من تحقيقها وبين الشك واليقين ، وبين فساد الزمن والشّعر الخالد ، وعندئذ يمكن للباحث تسليط الضّوء على المواقف المتردّية ، والمتخاذلة لتحرير الإنسان من رواسب الأوهام والخوف ، للخروج من تبسيطات الإدانة ، ومن كلّ اتّباعية تحدّ من حريّة تفكيره في مواقفه من الوجود والحياة .

وفي الأخير نأمل من الله العزيز الحكيم أن نكون قد أعطينا هذا الموضوع حقّه ، وأفدناكم ولو بالقدر القليل وأضفنا أسئلة أخرى إلى الأسئلة التي تحاول الإحاطة بمثل هذه الموضوعات والله الموفّق .

قائمة المصادر والمراجع :

1) المصادر :

1) ابن قتيبة ، الشّعر والشعراء ، دار الصّادر ، 1902 .

2) أبي نواس ، شرح ديوان أبي نواس ، الجزء الأوّل ، دار الكتاب اللّبناني ، 1987 .

3) إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، دار الشروق ، الطبعة الثانية ، الأردن 1996.

4) طه حسين ، من تاريخ الأدب العربي العباسي الثاني ، الجزء الثاني ، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين ، 1991،الكندي ، الطبعة الأولى ،2004.

5) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، القسم 01 ، مطابع الهيئة المصرية للكتاب 1993.

2) المراجع :

1) إبراهيم أحمد ملحم ، جماليات الأنا في الخطاب الشعري ، دراسة في شعر بشار بن برد ، دار الكندي ، بيروت ، 1981 .

2) أحمد حيدوش ، الإتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية.

3) أيمن محمد زكي العشماوي ، خمريات أبي نواس ، دار المعرفة الجامعية ، 2008 .

4) حسن إسماعيل ، شعرية الاستهلال عند أبي نواس ، دار العلوم ، كلية دار العلوم ، 1981 .

5) حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ،مكتبة البوليسية ، الطبعة الأولى ، لبنان ، 1980 .

6) خليل شرف الدين ،أبو نواس ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت .

7) رشيد يوسف عطا الله ، تاريخ الآداب العربية ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ،1985.

8) شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة عشر .

9)عبد العون روضان ، موسوعة شعراء العصر العباسي الأول ، الطبعة الثالثة ، دار أسامة الأردن 2009 .

10) عبد القادر فيدوح ، الإتجاه النفسي في نفد الشعر العربي، الطبعة الأولى ، دار صفاء ، عمان 2009.

11) علي نجيب عطوي ،بشار بن برد (حياته،شعره) دار الكتب العلمية ،الطبعة الأولى، لبنان 1990 .

12) فوزي عيسى ، في الأدب العباسي ، قسم اللغة العربية ،كلية الآداب،جامعة الإسكندرية ، الطبعة الأولى ، 2003 .

13) محمد خفاجي ،الحياة الأدبية في العصر العباسي،دار الوفاء للدنيا للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، 2004 .

14) محمد زكي العشماوي ، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ، دار النهضة العربية ، لبنان ، 1981 .

15) مصطفاوي موهوب ، المثالية في الشعر العربي ، ديوان المطبوعات ، الجامعية ، الجزائر، 1982 .

16) نضال الأميوني دكاش ، ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم ، دار الحداثة ، لبنان .

فهرس الموضوعات :

إهداء

مقدمـة 2

الفصل الأول : ثقل الزمن في حياة بشّار

1- محطات من حياتـه 5

2- بعض فصول من حياتــه 8

أ) ثلاثية العتب واليأس ووطأة الليالي عند بشــار.....8

ب) حتمية الــقدر 10

جـ) ثنائيـة الدهر واللــيل 11

د) الخيبة عنوان الزمان عند بشـــار 13

الفصل الثانــي : زمـــن أبي نـوّاس

1) نبذة عن حياتـه 15

2) الزمن وفسحة امتداده بين الحياة والمـوت 17

أ) البعد الدّلالي والفلسفي في خمرياتــه 17

ب) التحديق والتفتيش عن النفس نحو الزمن الضائــع 20

جـ) الضياع بين دوافع الحياة والمـوت 22

الفصل الثالث : موازنـة بين مفهوم الزمن عند بشار وأبي نواس

1) قياس مفردات الزمن الشاعرين عند الشاعريـن 25

أ) اليوم 25

ب) الليل 27

جـ) أيام بأسمائـها 30

2) أوجه التّشابه والاختلاف في معاني الزمن عند الشاعريـن 32

خاتمـة 36

قائمة المصادر والمراجـع 39

فهرس الموضوعات